



+ آباؤنا القديسون

البار ثاوفانس المرثم

تقيم الكنيسة المقدسة في الحادي عشر من تشرين الأول إذا كان يوم أحد ، أو في أول أحد يلي هذا التاريخ ، تذكر الآباء المجمعين في المجمع المسكوني السابع في مدينة نيقية عام ٧٨٧ ، وهو المجمع الذي ثبت عقيدة إكرام الأيقونات. كذلك تعيد كنيستنا في الحادي عشر من هذا الشهر للقديس البار ثاوفانس المرثم الذي علش في القرن التاسع أي بعد المجمع المسكوني السابع ، وجاهد من أجل تثبيت عقيدة إكرام الأيقونات ونشرها بعدما اضطهد الأباطرة المؤمنين بهذه العقيدة.

وُلد القديس ثاوفانس وكذلك أخوه القديس ثيودوروس ، الذي نعيد له في السابع والعشرين من كانون الأول ، في النصف الثاني من القرن الثامن لوالدين مسيحيين غنيين جداً، وتميزت أسرهما بالتقوى والضيافة ومحبة العلم. وقد برع ثيودوروس بالعلوم بالإضافة الى اقتنائه الفضائل المسيحية. لذلك ، بعد تلقيه العلوم الدنيوية ، أرسله والداه الى دير القديس سابا في فلسطين لكي يتعلم العلوم اللاهوتية ويتعمق في الفضائل وأصول الحياة الروحية والرهبانية.

أما ثاوفانس ، أخوه الأصغر، فبعد إتمام علمه التحق بالدير مقتدياً بأخيه. كان له ميل خاص لعلم البديع وأوزان الشعر حتى أنه عادل الشعراء اليونانيين ، ولكنه كرّس موهبته هذه لتأليف التساييح والأناشيد الكنسية والتقريظات والأشعار لمذح أيقونات السيد ووالدته الكلية الطهارة والقديسين. كما نظم القوانين والتراتيل التي تبعث التقوى والعبادة في قلوب المؤمنين.

من هنا لقبه "المرثم" أو "المنشئ". وقد سامه البطريرك الأورشليمي كاهناً مع أخيه بعدما لمس عيشة الفضائل التي كانا يعيشانها.

وحدث في العام ٨١٣ ، بعد تولي الإمبراطور لاون الأرمني زمام المملكة ، أن أثار حملة اضطهاد جديدة ، بعد فترة سلام ، ضد مكرمي الأيقونات ، وعزل البطريرك القسطنطيني وأقام مكانه آخر هرطوقياً وحارب المسيحيين. عندها أراد بطريرك أورشليم توما أن يقنع الإمبراطور بخطأ فكره وعمله ، فأرسل ثاوفانس وأخاه ثيودوروس إليه لأجل هذه الغاية ، علّه يرتد الى صوابه.



+ آباؤنا القديسون

وصلا الى القسطنطينية برفقة أبيهما الروحي ميخائيل عام ٨١٨، فقابلاً أولاً البطريرك الدخيل (الهرطوقي) شارحين له ضلالة محاربة الأيقونات وعظم الخراب الروحي اللاحق بالمؤمنين. ثم التقيا الإمبراطور لاون وحاولا حثّة على التوبة كي يرضى الله عنه فلم يفلحوا. وقد حاول لاون إستمالتهما بالوعود فلم ينجح، فما كان منه إلا أن أسلمهما للمعدّين، فضُرب الأخوان ضرباً شديداً ثم أُرسلا الى المنفى في إحدى جزر البحر الأسود حيث كانت العناية الإلهية تهتم بهما.

في ليلة عيد الميلاد عام ٨٢١ ثار عبيد لاون عليه وقتلوه في الكنيسة، فحلّ مكانه ميخائيل الثاني المعروف بالألثغ وكان محارباً للأيقونات أيضاً، إلا أنه لم يظهر على حقيقته في بداية حكمه. أطلق سراح الأخوين فعادا الى القسطنطينية وأخذوا يبشّران بالإيمان القويم ويدافعان بجرأة عن الأيقونات. فما كان من الإمبراطور إلا أن طرحهما في السجن. وبعد مجادلة معهما عن الإيمان أرسلهما الى المنفى مجدداً.

لما ارتقى سدة العرش ثيوفيلوس، ابن ميخائيل، عام ٨٢٩، وكان قاسياً مع المسيحيين، أرسل في طلب ثاوفانس وثيودوروس. فلما لم يفلح في إستمالتهما أخضعهما لأشدّ العذابات والعقوبات. فطرحا في سجن مظلم وجُلدا بقساوة بربرية حتى تناثر لحمهما وسلخ جلدتهما. وكان يجري دمهما على الأرض كمن نبع فيمما كان القديسان مبتهجين مفتخرين بتلك الجراحات حباً بيسوع المسيح. فتعاضمت قسوة الإمبراطور عليهما وأمر أن يضربا على رأسيهما. يقول الشهيد ثيودوروس في إحدى رسائله انهما لطما بشدة " حتى اشمطنا الصرع".

جُلدا من جديد بقساوة وكانا يصرخان " يا رب ارحمنا " و " يا والدة الإله أعينينا " ثم أرسلوا الى السجن. وبعد أربعة أيام إستدعاهما الإمبراطور وعرض عليهما الحرية مقابل إنكار الأيقونات، فلما رفضا حكم عليهما بأن يُكتب على وجهيهما حفراً بالإبر بعض أبيات شعر تمجوهما وتبيّن أسباب عقوبتهما. بعد ذلك أعادهما الى المنفى في أفاميا حيث أسلم ثيودوروس الروح بعدما قضى أكثر من خمسة وعشرين عاماً في الإضطهاد والعذابات. كان ذلك في ٢٦ كانون الأول سنة ٨٣٦.

أما القديس ثاوفانس فكان أصغر سنّاً من أخيه وأقوى بنية فصمد في المنفى حتى وفاة ثيوفيلوس عام ٨٤٢ فعاد من المنفى واختير أسقفاً على مدينة نيقية التي اعتنى برعايتها ودبر شؤونها الى أن رقد بسلام عام ٨٤٧.

كتب ثاوفانس خلال حياته المليئة بالعذابات والإضطهاد أكثر من مئة وخمسين قانوناً ما يزال يرتل الكثير منها حتى اليوم، لا سيما في الأعياد السيدية وأعياد القديسين. فبشفاعة القديسين ثيودوروس وثاوفانس المرثم الموسوم (أي الذي حُفر على وجهه بالإبر) اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.